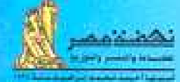
في التنوير الإسلامي

«٥٣»

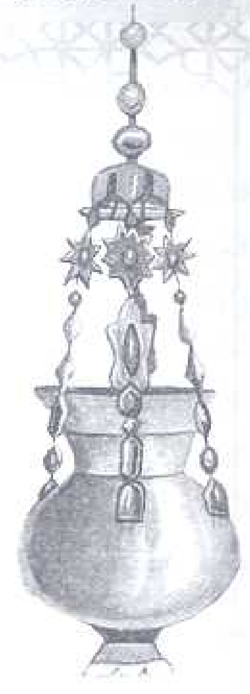
مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

تأليف

د. محمد عمارة



في التنوير الإسلامي ٥٣



مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

تأليف
د. محمد عمارة





اسم الكتاب	مستقبلنا بين العالمية الإسلامية.. والعولمة الغربية
اسم المؤلف	د. محمد عمارة
إشراف عام	داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر	يناير ٢٠٠١
رقم الإيداع	٩٢٨٥ / ٢٠٠٠ م .
الترقيم الدولى	I. S. B. N 977 - 14 - 1319 - 8
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .
المركز الرئيسى	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة ، مدينة السادس من أكتوبر . ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهره ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ . فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ ص. ب: ٩٦ الفجالة .
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ . فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ ص. ب: ٢٠ إمبابة .

تحرير مضامين المصطلحات

منذ صك الإعلام الغربى مصطلح «العولمة» وأحله محل مصطلح «النظام العالمى الجديد» - عقب انهيار الاتحاد السوفيتى ، والمنظومة الشيوعية سنة ١٩٩١م - وهناك خلط - فى دوائرنا الفكرية والإعلامية - بين مصطلح «**العولمة**» ومصطلح «**العالمية**» .. وهو خلط يزيف المضامين ، ويخلط الأوراق التى لايجوز فيها الاختلاط .. بل ويحول دون الحوار الجاد حول مفاهيم ومقاصد القضايا التى تعبر عنها هذه المصطلحات .. الأمر الذى يستوجب البدء بتحرير وتحديد مضامين مصطلحى «العالمية» و «العولمة» على وجه الخصوص ..

مفهوم العالمية:

فالعالمية نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات ، والتلاقح بين الثقافات ، والمقارنة بين الأنساق الفكرية ، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول ، ترى العالم «منتدى حضارات» ، بينها مساحات كبيرة من «المشترك الإنسانى العام» ولكل منها «هوية ثقافية تتميز بها» ، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها ، فى إطار «**توازن المصالح**» ، وليس «**توازن القوى**» بين هذه الأمم والحضارات ..

وإذا كانت عين الفاحص لاتخطئ التمايز الحضارى، فى هذا المنتدى العالمى، عندما ترى الخصوصيات الحضارية لكل من الصين والهند واليابان والغرب والإسلام – وغيرها من الحضارات– فإن عقل الباحث لا يخطئ أيضا تميز بعض هذه الحضارات «بالمحلية»– مثل الهند والصين واليابان– بينما تميزت وتتميز كل من الحضارات الإسلامية والحضارة الغربية بصلاحية التمدد العالمى، وإمكانات العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية لشعوب هاتين الحضارتين.. تميزت بتلك النزوع العالمى الحضارة الأوربية الغربية، منذ طورها الإغريقى – الرومانى.. وتميزت به الحضارة الإسلامية منذ أن خرجت من بين دفتى القرآن الكريم ..

فمن القرآن الكريم ولدت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة، وخرجت الصبغة الإسلامية لحضارة هذه الأمة، وجاءت عالميتها كثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية، التى شاء الله، سبحانه وتعالى، أن يختم بها شرائع السماء إلى الإنسان.. ولهذه الحكمة جاء الحديث القرآنى عن هذه العالمية منذ العهد المكى للرسالة والدعوة ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ – يوسف: ١٠٤ – ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ – الأنبياء: ١٠٧ – ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ – الفرقان: ١ –.. فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمه وثقافته، على امتداد الزمان والمكان..

لكن هذه العالمية الإسلامية لاتعنى - فى الرؤية الإسلامية - انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم، وإلغاءها للآخر الحضارى .. بل إنها تعنى التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر، فى ظل التأكيد **على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافى والاختلاف فى الشعوب والأمم والقبائل.. وفى الألوان والأجناس والأعراق.. وفى الألسنة واللغات ومن ثم القوميات وفى الشرائع والملل الدينية.. وفى المناهج والمذاهب والثقافات والحضارات.. أن كل هذا التنوع والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكويني، والسنة الإلهية التى لا تبديل لها ولا تحويل ..** ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ -الحجرات: ١٣- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾-الروم: ٢٢- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾- هود: ١١٨، ١١٩- ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾- المائدة: ٤٨- ..

فالناس سعيهم شتى ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾-الليل: ٤- ﴿ ولكل

وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾ -البقرة: ١٤٨- . . و «التدافع» والحراك والتسابق هو سبيل رأب الصدع وتعديل الخلل وإعادة الميزان - الوسط . . العدل- إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم أو الحضارات ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ - فصلت: ٣٤ - . . وليس «الصراع»، الذى يصرع فيه وبه طرف الأطراف الأخرى، فينفرد هذا الطرف بالساحة والثمرات والامتيازات، منهيا التعدد والتنوع والاختلاف . . ﴿ صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية ﴾ -الحاقة: ٧، ٨- . .

ذلك هو المفهوم الإسلامى للعالمية: **نزوع عالمى، يرى التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط العدل بين «العزلة» وبين «التبعية»، فتصبح الصورة الحضارية للعالم هى صورة «منتدى الحضارات»** . .

ولقد تميز هذا المفهوم الإسلامى للعالمية عن المفهوم الغربى للعالمية، ليس فقط فى حقبتنا الراهنة - حقبة العولمة- وإنما منذ فجر الحضارة الأوربية الغربية . . «**فالنزعة المركزية**» لصيقة بالنموذج الحضارى الغربى، منذ العصر الرومانى، الذى رأى أصحابه أن الإنسان هو الرومانى الحر وحده، ومن عداه برابرة، وأن مايتدين به الرومان هو الدين الوحيد، وما عداه واجب الاستئصال . . ولقد طبقوا هذه النزعة الواحدية المركزية فى عصر

وثنيتهم بإبادة النصارى ، بعد تشريد اليهود ، وفى عهد نصرانيتهم باضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة لمذهبهم الملكانى .. وامتد ذلك فيما عرف «بالحروب الدينية» بين مذاهب النصرانية - الكاثوليكية والبروتستانتية- التى امتدت منذ منتصف القرن السادس عشر وحتى العقود الأخيرة من القرن السابع عشر [١٥٦٢ - ١٦٨٨م] ، أى حتى عصر «التنوير» ، والتى أبيد فيها نحو عشرة ملايين ، أى ٤٠٪ من سكان وسط أوربا[١] !!

ثم واصلت هذه «النزعة المركزية» الغربية صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب للأمم والبلاد والحضارات غير الغربية ، وتم هذا الصراع والاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجبهات- على الجبهة الفكرية ، بإبادة البنى التحتية للمواريث الفكرية لحضارات الشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة القيمية ، باختراق منظومة القيم الخاصة بالشعوب المستعمرة[٢]- وعلى الجبهة الثقافية بتغريب المستعمرات- وعلى الجبهة اللغوية ، بفرنسة أو جلنزة ألسنة الشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة الدينية ، بتنصير العالم بالنصرانية الغربية- وعلى الجبهة الاقتصادية ، بالنهب الاقتصادى الاستعمارى ، الذى بنى رفاهية الغرب بالفائض الذى تحقق من إفقار الأمم والشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة الأمنية ، بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوربى

---

(١) هاشم صالح «التنوير الأوربى ردة فعل للاقتتال المذهبى»- صحيفة (الشرق الأوسط) -لندن- فى ٢٦-٢- سنة ٢٠٠٠ م .

(٢) الجبرتى [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٣١٠ ، ٣١١ تحقيق : حسن محمد جوهر ، عمر الدسوقى . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م .

والغربى ، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها وقوداً فى الحروب الاستعمارية ، كما كان الرومان والفرس يصنعون - قديماً - مع الغساسنة والمناذرة ، فى النظام العالمى القديم ! . .

ذلك هو المفهوم الغربى «العالمية» حضارته الأوربية . . مفهوم الواحدية الحضارية ، الذى يرى أن الحضارة الغربية هى وحدها العالمية والإنسانية - بل هى وحدها «الحضارة» ! - التى يجب أن تكون النموذج الوحيد للتحضر والتقدم . . والقالب الأوحد الذى يجب أن يصب فيه العالم جميعاً . .

بل لقد رأى الغرب - ولايزال يرى - أن الصراع والصدام هو الخيار الرئيسى فى تحقيق هذه الواحدية الحضارية . . وذلك بسبب «**الصبغة الصراعية**» التى تماهت فى بنية تكوين الحضارة الغربية ، والتى أفصحت عنها - ثم بررت لها - النظريات الرئيسية التى صبغت فلسفة الأنوار الوضعية الأوربية وفكر الحداثة الغربية وثقافتها . .

● ففلسفة القوة والصراع والنفعية المتحللة من الأخلاق ، هى جوهر فلسفة السياسة الميكيافيلية- كما صاغها ميكيا فيلى [١٤٦٩ - ١٥٢٧م] فى كتاب [الأمير]- . .

● وفلسفة التاريخ عند هيجل [١٧٧٠ - ١٨٣١م] تقيم علاقات العصور على الصراع ، الذى ينسخ فيه الجديد القديم . .

● والداروينية - كما صاغها داروين [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] فى [أصل الأنواع]- تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور فى عالم الأحياء ، فالبقاء للأصلح ، والأقوى هو الأصلح للبقاء . . ونسخه للآخرين- الضعفاء - هو القانون ! . .

● وكذلك الحال فى الفكر الاجتماعى، والعلاقات بين الطبقات - عند ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] وغيره - وهو تطبيق للفلسفة الصراعية الداروينية والهيجلية فى الاجتماع - . . فالجديد يستأصل القديم، والطبقة الجنينية يتم نموها على حساب فناء الطبقة السائدة . . و «العبودية» قد نسخت المشاعية البدائية . . ثم جاء الإقطاع فنسخ العبودية . . ثم جاءت الرأسمالية فنسخت الإقطاع . . ولقد بشرت الماركسية بنسخ الشيوعية وديكتاتورية البروليتاريا لليبرالية الرأسمالية . .

وكأنما شعار هذه «الفلسفة الصراعية» - التى صبغت الحضارة الغربية - هو: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ - **الأعراف**: ٣٨ - . . وأبادتها ! . .

● وهذه النزعة المركزية الاستئصالية، هى التى جعلت حتى مفهوم «الإنسان» - فى الحضارة الغربية - هو الإنسان الغربى وحده! . . ثم جعلت هذا الإنسان الغربى - فى عصر الاستعمار - يمارس استئصال الآخر - الحضارى والثقافى - براحة عجيبة للضمير، هى أشبه ماتكون بموت الضمير: لأنه يمارس ذلك الاستئصال «كرسالة»، وكإعمال للقانون العلمى والطبيعى - الذى يحكم عالم الأحياء والاجتماع - فى عالم الحضارات والثقافات . . فاستئصال الشعوب - بالاستعمار الاستيطانى - فى أفريقيا وفلسطين - هو تمدن وتحضر لهذه البلاد! . . وتنصير المسلمين هو تحقيق «الخلاص» لأرواح هؤلاء الكفار المحرومين! . . وإزالة المواريث الحضارية للشعوب غير الأوربية، هو تحرير لها من التخلف والرجعية والبدائية والجمود! . .

ومفهوم العولمة

وإذا كان هذا هو مفهوم «العالمية» - فى الرؤية الإسلامية .. وفى الرؤية الغربية - فما هو الجديد المفاهيمى الذى يطرحه مصطلح «العولمة» ، الذى طرأ على الساحة الفكرية منذ سنوات؟ ..

إن الجديد فى هذه العولمة الغربية - عن «العالمية الغربية» - هو جديد فى «الدرجة»، وليس فى «النوع».. فنحن أمام تصاعد فى درجة النزعة المركزية الغربية.. وتصاعد فى حدة التطبيق الغربى لهذه النزعة المركزية.. وأسباب هذا الجديد - جديد العولمة - هو التطورات الموضوعية الجديدة التى طرأت على العالم، ومن ثم على علاقة النظام الغربى بالعالم غير الغربى ..

لقد مر الغرب فى علاقات أممه ودولة القومية بعضها بالبعض الآخر - منذ عصر التنوير - بمراحل عدة : مرحلة الحروب الدينية .. ومرحلة الحروب القومية .. ثم جاءت مرحلة الحروب الاستعمارية .. ثم شهدت العقود الأولى للقرن العشرين ذلك «الانشقاق الاجتماعى» بين الشمولية الشيوعية وبين الليبرالية الرأسمالية ، فى قلب النموذج الحضارى الغربى .. ولقد شغل هذا الانشقاق والشقاق الاجتماعى واستنفد الكثير من الطاقات الصراعية لقوى النظم الغربية .. وانضم إليهما - نحو ربع قرن - صراع هذين القطبين مع الفاشية والنازية - .. وفى ظل هذه

«الفرصة التاريخية» نمت حركات التحرر الوطنى فى البلاد المستعمرة، واستفادت الدول التى حققت استقلالها السياسى عقب الحرب الاستعمارية العالمية الثانية من هامش الحرية الذى أتاحه لها الصراع الداخلى بين شقى الحضارة الغربية، فحققت - بعد الاستقلال السياسى - مقادير متفاوتة من التنمية الثقافية والاقتصادية والعسكرية..

صحيح أن التغريب كان تياراً ضاغطاً على خيارات هذه الدول والشعوب.. لكن التناقض الرئيسى فى جسم الحضارة الغربية قد أتاح لشعوبنا مقادير من حرية الاختيار، فى إطار هذا التغريب، الذى مثل يومئذ «**غواية الترغيب والترهيب**».. لقد كان غواية، تستخدم أساليب الترغيب والترهيب.. لكن ظلت لنا معها مقادير لا بأس بها من حرية الاختيار..

فلما حدث وسقط النموذج الشمولى الماركسى - فى مطلع العقد الأخير من القرن العشرين - وتوحدت قبضة الحضارة الغربية كما لم تتوحد من قبل - منذ عصر التنوير الأوربى -.. وتزامن ذلك مع ما اقتضاه «الرعب والردع النووى» من ضبط الغرب لتناقضاته الداخلية والاقتصادية عند حدود وسقف «الصراع غير العنيف».. واقترنت هذه اللحظة التاريخية بثورة متسارعة وغير مسبوقة فى تقنيات وسائل الاتصال - فى الفكر والثقافة والإعلام.. وفى المال والاقتصاد - كان ذلك الصعود الجديد لنزعة المركزية الغربية من طور «العالمية» - بمفهومها الغربى، الذى أشرنا إلى خصائصه - إلى طور

«العولمة الغربية»، التى أرادت وتريد إلغاء «هامش الاختيار» الذى كانت تتمتع به الشعوب والأمم والحضارات غير الغربية، وإحلال مرحلة «الإجتياح» محل مرحلة «غواية الترغيب والترهيب» . .

فالعولمة الغربية، هى طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية والعالمية، بمفهومها الغربى.. إنها طور الاجتياح الذى يطمع فى صب العالم داخل القالب الغربى - على مختلف الصُعُد والميادين: الاقتصادية.. والسياسية.. والقيمية.. والثقافية.. والعسكرية.. والتشريعية.. الخ.. الخ . .

إنها مرحلة «الطوفان الغربى»، الذى هو - فى الدعاوى الغربية - نهاية التاريخ.. ومن لم يركب فى سفينة النموذج الحضارى الغربى طوعا، فخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحددها خطوط الثقافات والحضارات! . .[3]

وإذا كان «واقع» هذا الاجتياح العولمى الغربى ، هو الشاهد على صدق هذا التحليل والتوصيف . . فإن فى مصطلح «العولمة» شاهداً ودليلا ، أيضاً . .

فالعالمية -حتى بمفهومها الغربى- ونظرا لملابسات التناقضات التى صاحبتها ، لم تكن تحرمنا من هامش الاختيار . . أما هذه العولمة ، التى مثلت وتمثل طور وحدة القبضة الغربية ، وثورة

(٣) انظر : د . محمد عمارة [الحضارات العالمية : تدافع أم صراع؟]- سلسلة «فى التنوير الإسلامى» طبعة نهضة مصر . القاهرة سنة ١٩٩٨م . و[مخاطر العولمة على الهوية الثقافية]- نفس السلسلة - والناشر- طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩ م .

التقنيات التى جعلت وتجعل العالم أشبه ما يكون بالقرية الكونية ، مما يؤدى إلى تصاعد مخاطر الاختلالات فى موازين القوى على الأمم والحضارات المستضعفة . . أما هذه العولمة ، فإن مصطلحها - حتى المصطلح - ينبئ هو الآخر عن هذا الجديد الذى تمثله . . فالصيغة الصرفية «فوْعَله» . . غالبا ما تعنى الدمج المخطط والقسرى فى قالب واحد ، ونفى التنوع والتعدد والاختلاف . . نفهم ذلك -وقد عرفناه وعانيناه- عندما اكتوت شعوبنا «بالفرنسة» و و«الجلنزة» ، و «الروسنة» ، و «الأمركة» و «الأسرلة» . . الخ . . فهى- أى العولمة- مرحلة الإجتياح الغربى- وخاصة الأمريكى - لصب العالم فى قالب النزعة المركزية الغربية ، على نحو غير مسبوق ، ودرجة لم يسبق لها مثيل ، بفعل المستجدات الجديدة ، فى بنية الحضارة الغربية - بتزايد «فرعونيتها» و «قارونيتها» . . وبضبط تناقضاتها- . . وبفعل مستجدات عالم التقنيات وسلطان المعلومات . .

ذلك من تحرير وتحديد مفاهيم المصطلحات . .

***

ولأن العولمة هى الاجتياح الغربى - بزعامة أمريكية - لصب العالم فى قالب الحضارة المهيمنة .. فإن هذا الاجتياح الطوفانى لايترك ميداناً من الميادين إلا ويريد أن يطاله ويحتويه .. وخاصة إذا وجد فيه «فراغا» يغرى بالاحتواء ..

● **ففى الاقتصاد** : هناك عولمة الخلل الفاحش ، الذى تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة ، بين الشمال والجنوب- والذى بلغ- فى الظلم الإجتماعى- أفقا غير مسبوق ..

● فأبناء حضارة الشمال - الذين بنوا رفاهية مجتمعاتهم الغربية على فائض النهب الاستعمارى العالمى .. والذين يمثلون اليوم ٢٠٪ من سكان المعمورة - يملكون ويستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمي .. حتى أن ٢٢٥ فرداً منهم يملكون ما يوازى ملكية ٢,٥ مليارا من أبناء الجنوب - أى قرابة نصف البشرية-! .. بل إن ثلاثة أفراد فى أمريكا تبلغ ثروتهم مثل ثروة ٤٨ دولةمن أعضاء الأمم المتحدة- أى نحو ثلث أعضاء المنظمة العالمية-! ..

● ومثل هذا الخلل الجنونى فى الملكية ، نجده فى الإتفاق .. ف :

٧٨٠ بليوناً من الدولارات هى حجم الانفاق «العالمى» على التسلح وأدوات الدمار ..

و ٤٠٠ بليوناً من الدولارات هى حجم الإنفاق «العالمى» على المخدرات ..

و ١٠٥ بليونا من الدولارات تنفق على الخمور والكحوليات فى أوربا وحدها . .

و٦٧ بليوناً من الدولارات تنفق على القطط والكلاب المنزلية فى أوربا وأمريكا وحدهما ! . .

أى أن مجموع ما ينفق على هذا السفه والدمار يبلغ ١,٤٤٢ بليونا من الدولارات . . بينما مجموع الإنفاق العالمى على كل من الصحة والتعليم والغذاء لايتجاوز ١٩ بليونا - للتعليم ستة بلايين . . وللغذاء والصحة ثلاثة عشر بليونا-!! . .

الأمر الذى يجعل هذا الاقتصاد «العالمى» الذى يريدون عولمته ، بإزالة الحدود الحمائية للاقتصادات والصناعات والتجارات الوطنية لدول الجنوب ، مقبرة لاقتصاداتنا ، ومأتما للرشد الاقتصادى ، ناهيك عن العدالة الاجتماعة! . .

● وإذا كانت أولى نتائج هذا الخلل الفاحش - الذى يجعل ٢٠٪ من أبناء الشمال يستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمى ، بينما يعيش ٨٠٪ من البشر على ١٤٪ من الانتاج العالمى- . . إذا كانت أولى نتائج هذا الخلل هى انعدام القدرة الشرائية لأغلبية البشرية . . فلقد دفع ذلك رؤوس الأموال العالمية - التى لاهم لها سوى اللهاث وراء تعظيم الأرباح - إلى التوجه نحو الميادين الطفيلية ، بدلا من الميادين الإنتاجية والخدمية . . فغير تجارات المخدرات - وغسيل الأموال القذرة- وشبكات تجارة الدعارة - فى النساء والفتيات والغلمان . . والتى أصبحت- فى بعض البلاد-

من المصادر الأساسية «للدخل القومى»! ، وتكاد «العمالة» فيها تفوق العمالة فى الصناعات الإنتاجية الأساسية :- . غير هذه الميادين المدمرة لإنسانية الإنسان ، توجهت أغلبية رؤوس الأموال العالمية- ١٠٠ تريليون دولار - أى ٩٧٪ من حجم الأموال السائلة- إلى السمسرة والمضاربات . . بينما الموظف فى الإنتاج والتجارة هو ٣,٥ تريليون دولار ، فقط لا غير ! . .

● وعلى حين ارتفع حجم التجارة السلعية العالمية من ٢٥ تريليون دولار سنة ١٩٩٠م إلى ٣٨ تريليون دولار سنة ١٩٩٨م . . فإن حجم التجارة فى الأوراق المالية - أى المضاربات غير المنتجة - بل والمدمرة- قد ارتفع فى ذات المدة من ١٥ تريليون دولار إلى ١٨٠ تريليون - والتريليون هو بليون بليون - أى أن هذه التجارة المدمرة والطفيلية قد بلغت ، فى ظل العولمة ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ! . .

● وبسبب من الحجم الديناصورى لصناعة السلاح وتجارته ، فى هذا الاقتصاد «العالمى» فلقد بلغ حجم العقول العلمية الموظفة فى صناعة السلاح والدمار - بشكل مباشر أو غير مباشر- ٩٠٪ من عقول علماء العالم ! . .

● وإذا كانت ديون «العالم الثالث» - أى ٨٠٪ من البشرية - قد بلغت سنة ١٩٩٧م ١,٩٥٠ مليارا من الدولارات . . تقتطع فوائدها- مجرد الفوائد - أربعة أضعاف ما تنفقه دول «العالم الثالث» على الصحة والتعليم مجتمعين . . فإن صورة هذه المأساة

لاتفهم إلا إذا علمنا أن الشركات متعددة الجنسيات ومتعدية القارات - التى تعولم هذا الاقتصاد «العالمى»- تقترض الدولارات من «وال ستريت»- حى المال والأعمال فى أمريكا - بفائدة قدرها ٦٪ ثم تقرض هذه الدولارات لبلاد الجنوب بفائدة تتراوح ما بين ٢٠٪ و ٥٠٪ !![٤] . . **الأمر الذى جعل استدانة - الجنوب من الشمال تبلغ حد تمويل الجنوب للشمال، لا العكس، وتنمية الجنوب للشمال، بدلا من العكس** . . فقرض قصير الأجل لمصر ، بلغت قيمته أربعة ملايين دولار ، أصبحت قيمته الإجمالية - مع الفوائد- عند اكتمال سداده ٢٢ مليونا !! . .

والمعونات الأمريكية لمصر ، خلال الفترة من سنة ١٩٧٥م إلى سنة ١٩٨٣م ، قد بلغت حوالى ٨,٥ مليارا من الدولارات ، وتم إنفاقها على ثلاثة برامج أساسية هى : ١ - الاستيراد السلعى ٢ - والمشروعات ٣ - وفائض الحاصلات الزراعية . . فكانت نتيجتها الحقيقية : فائدة أمريكا ، لا مصر . . فاستعاد البرنامجان الأول والثالث ٥٧,٢ ٪ من إجمالى المعونات ، صبت فى صالح السوق الأمريكى- إنتاجا وتشغيلا - فتم دعم الصناعة الأمريكية - (البرنامج السلعى) بـ ٣٣,١ ٪ من حجم المعونة - وتم دعم

---

(٤) انظر هذه الحقائق والأرقام فى «تقرير التنمية البشرية»- الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٩٨م - و (الأهرام) - القاهرة - مقالات : صلاح الدين حافظ - فى ١٦ - ٩ - ١٩٩٨م - و د . محمود عبد الفضيل- فى ١٥- ٦- ١٩٩٨م- والسيد يسين - فى ٢١- ١ - ١٩٩٩م . . وكتاب [مغزى القرن العشرين] للدكتور أحمد شوقى - طبعة المكتبة الأكاديمية - القاهرة سنة ١٩٩٩م

المزارعين الأمريكان - (برنامج فائض الحاصلات الزراعية) بـ ٢٤,١٪ من حجم المعونة- . . وأخذ «الخبراء» الأمريكان مابقى من المعونة . . ففى تطوير «ميناء الأدبية»- بالسويس- ضمن (برنامج المشاريع)- بلغت أجور «الخبراء» الأمريكان ١٣ مليونا من الدولارات- أى ٦٥٪ من إجمالى تكلفة المشروع!- وأجر «الخبير» الأمريكى بمصر هو أربعة أضعاف أجره فى وطنه أمريكا!!- كما بلغت تكاليف الدراسة الأمريكية لمشروع الصرف الصحى بالإسكندرية ٥٧٪ من جملة القرض الأمريكى الموجه للمشروع !! . .

وذلك فضلا عن : قصر المعونات على المشروعات غير الإنتاجية ، وبالذات تلك التى تخدم تطبيع العلاقات مع إسرائيل . . والتى تخدم تحديد النسل - إذ بلغت نسبتها إلى معونات قطاع الصحة ٥١,١٪[٥] !! . .

فهى لاتقف فقط عند «إماتة» الإنتاج الحقيقى والتنمية الحقيقية . . وإنما ينطبق عليها المثل القائل : «موت . . وخراب ديار»! . . ومع كل هذا الخراب ، فإن هذه الديون ترهن إرادة الأمة لدى صانع القرار الأمريكى ، وتحول الاستقلال الوطنى إلى مجرد «عَلَم . . ونشيد»! . .

تلك هى «المقصلة الاقتصادية» ، التى يريدون عولمتها ! . .

---

(٥) محمد صلاح الدين - صحيفة (المدينة)- السعودية - فى ١٧ مايو سنة ١٩٩٦م - وهو ينقل عن دراسته ماجستير حول «المعونة الأمريكية لمصر» للباحثة دينا جلال - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

● **والعولمة السياسية:**

وغير البعد الاقتصادي للعولمة . . هناك البعد السياسي ، الذي يهمش دور المنظمات الدولية لحساب تعظيم الهيمنة العالمية لمؤسسات الدولة الأمريكية . . «فمجلس الأمن القومي الأمريكي» يكاد أن يحل محل «مجلس الأمن الدولي»! . . وقضايا وشئون العالم الإسلامي قد عُهِدَ بها إلى «لوبي» يهودي أمريكي![٦] . . والسيادة الوطنية لحكومات الدول القطرية والقومية- تلك التي أكدتها المواثيق الدولية - تتآكل لحساب التدخل الأمريكي والأطلنطي ، ولحساب تعظيم سيادة العولمة الأمريكية على حساب السيادات الوطنية والقومية لدول الجنوب . . وفي انتقاص هذه السيادة الوطنية للدول تستغل «أوراق» الأقليات النصرانية والقومية في العالم الإسلامي ، وتُبلور وتُموّل شرائح من غلاة العلمانيين المتغربين في بلادنا للتبشير بهذه الاتجاهات ، حتى ليكتب كاتب نصراني في صحيفة يسارية مجاهراً بتأييده للتدخل الأمريكي «الدولي» في شئون مصر الداخلية ، بدعوى « أن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام المواثيق الدولية هو أمر مشروع تماماً داخلياً وخارجياً . . ولا عجب في هذا ، فنحن نعيش في عصر الدولة- ناقصة السيادة ، وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية . .»[٧]!! . .

---

(٦) مجلة (المجتمع) - الكويت- ص ٣٠ ، ٣١ «اليهود يحكمون الولايات المتحدة: ٦٠ وزيراً يهودياً في الإدارة الأمريكية و ٢٣ سفيراً ودبلوماسياً»- وتحت ولايتهم مسئوليات الشرق الأوسط وقضايا الصراع العربي الصهيوني- عدد ١٢٣٣ في ١٩٩٩/١/٥م .

(٧) مجدي خليل «مصر وأمريكا : أقباط مصر خارج هذه اللعبة»- صحيفة (الأهالي) - القاهرة- في ٢/ ٧/ ١٩٩٧ م -

بل ويدافع عن هذا التفريط العجيب فى السيادة الوطنية - سيادتنا نحن فقط، وليست سيادة قوى الهيمنة، التى احترفت وتحترف العنصرية واضطهاد الأمم والشعوب!- يدافع عن هذا التفريط، ويُنَظِّر له «التقرير الاستراتيجى العربى»، الذى تصدره - بتمويل أجنبى! - «مؤسسة الأهرام» - فى مصر- والذى يشرف على إصداره «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» - بالمؤسسة- والخاضع لتوجهات «تطبيع» العلاقات مع إسرائيل، والرضى بالتسوية الأمريكية للصراع العربى - الصهيونى[٨]!..

هكذا تتحول «السياسة الأمريكية» إلى «السياسة العالمية».. ويصبح لعولمة السياسة، وانتقاص السيادة، والتدخل فى شئوننا الداخلية، دعاة وكتاب ودراسات وأدبيات!..

● **والعولمة التشريعية:**

ويدعم هذه العولمة السياسية، ويقنن لها، «عولمة تشريعية» يمارسها الكونجرس الأمريكى، الذى لم تعد تشريعاته وقفا عند حدوده الوطنية - كما هو شأن كل برلمانات الدنيا.. وأصل اختصاصاتها - وإنما أخذ - هذا الكونجرس- يشرع للعالم بأسره.. فيصدر القوانين التى تصنف الدول إلى: دول سافلة، وأخرى طيبة!.. ودول إرهابية، وأخرى مسالمة!.. ودول مُحاصرة، وأخرى غير مُحاصرة!..

---

(٨) انظر فى نقد توجهات (التقرير الاستراتيجى العربى) أعمال ندوة مركز البحوث والدراسات السياسية -كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة فى ٤، ٥ مارس سنة ٢٠٠٠م- وهى خاصة بمناقشة هذا التقرير - وكذلك مقالات: محمد سيد أحمد، ونبيل زكى، ومحمد فرج - صحيفة (الأهالى) -القاهرة- فى ٨/ ٣/ ٢٠٠٠

ودول يجوز فيها الاستثمار، وأخرى تفرض عليها المقاطعة! . . ودول تضطهد الأقليات الدينية، فتستحق العقاب الأمريكى والعالمى، ودول بريئة من هذا الاتهام! . . ودول يستحق إنسانها التمتع بحقوق الإنسان، ومنها حق تقرير المصير، حتى ولو كان تعدادها أقل من مليون- فى «تيمور الشرقية» - وأخرى لا يستحق إنسانها شيئًا من ذلك، حتى ولو بلغ تعدادها عشرات الملايين- كما هو الحال فى كشمير والفلبين وبورما والبوسنة وكوسوفا وفلسطين !- . .

ومثل ذلك الحال مع حق الإنسان فى أن يُحكم بالقانون الذى يريد . . فعولمة العلمانية اللادينية، واستخدام «أوراق» الأقليات غير المسلمة فى فرضها على الأغلبيات المسلمة هو «شرعة العولمة» . . بينما اختيار الشعوب المسلمة الاحتكام إلى شريعتها الإسلامية هو «التطرف المحظور، والأصولية المرذولة» التى تبرر التدخل الخارجى فى شئون تلك الشعوب ! . .

بل وتصل هذه «العولمة التشريعية» إلى حد إصدار القوانين الأمريكية، واعتماد الميزانيات العلنية لتغيير نظم الحكم التى لا ترضى عنها العولمة الأمريكية! . . مثل إصدار الكونجرس الأمريكى «لقانون تحرير العراق»! . . أى قلب نظام الحكم فى بلد عضو بالأمم المتحدة ! . .

● **والعولمة العسكرية:**

وغير هذه العولمة الاقتصادية . . والسياسية . . والتشريعية . . هناك «العولمة العسكرية»، التى تفرض كل ألوان وأبعاد العولمة على من تحدثه نفسه بالتمرد أو العصيان . . فمن لم تردعه التحذيرات . . والعقوبات . . تردعه الصواريخ والمقاتلات! . .

وإذا كان شاذاً- بكل المقاييس- أن تأتى الطائرات الأمريكية والبريطانية عبر القارات ومن وراء المحيطات لتضرب شعب العراق ومنشآته «بحجة الدفاع عن النفس» - نفس الذين وطنهم وراء القارات والمحيطات؟!!- فإن هذا الشذوذ يتم تقنينه وعولمته، عندما تجتمع دول حلف الأطلنطى فى عيده الخمسيني - بأمريكا- فى إبريل سنة ١٩٩٩م . .

فهذا الحلف الذى تكون فى إبريل سنة ١٩٤٩م- فى ظل النظام العالمى ثنائى القطبية- قد نص ميثاقه على أن مهامه خاصة بالدفاع عن «**أرض الدول المشتركة فيه**» . . لكن العولمة العسكرية قد غيرت مهام هذا الحلف وطورتها، فجعلتها «**الدفاع عن -مصالح- وليس فقط -أرض- الدول المشتركة فيه**» . . فامتدت الذراع العسكرية للعولمة الغربية - تحت القيادة الأمريكية- إلى حيث يريدون . . وأصبحت «مبررات» من مثل «الأصولية الإسلامية» و «التطرف» و «اضطهاد الأقليات المسيحية» و «أسلحة الدمار الشامل» و «برامج التسلح النووى»- والتى جعلتها العولمة من خصائص الدول العربية والإسلامية دون غيرها من الدول؟!- . . أصبحت هذه «المبررات» أبوابا مشرعة للتدخل العسكرى العولمى فى شئون الدول المتمردة على بيت الطاعة الأمريكى ! . .

- **وعولمة القيم الغربية:**

وإذا كانت العولمة العسكرية هى أداة «التأييد» للعولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية . . فإن عولمة القيم والثقافة هى

سبيل «التأبيد» لذوبان الحضارات غير الغربية فى النموذج الحضارى الغربى . . فاحتلال العقل كان دائماً وأبداً السبيل لتأبيد احتلال الأرض ونهب الثروة ، دونما حاجة إلى نفقات القواعد العسكرية وتكاليف الجيوش ! . .

وإذا نحن شئنا أن نضرب الأمثال – فى إشارات موجزة– على نماذج لعولمة منظومة القيم الغربية ، والثقافة الغربية ، ونمط الحياة الأمريكى ، من خلال صياغة هذه المنظومة القيمة فى مواثيق يتم عولمتها باسم الأمم المتحدة ، وعبر مؤتمرات «دولية» تعقد تحت علم المنظمة الدولية . . فإن فى وثيقة «برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية» ، الذى عقد بالقاهرة –٥– ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م –تكفى– هذه الوثيقة– وزيادة !– لتجسيد معنى عولمة القيم الغربية ، وفرضها على مختلف الأمم والشعوب والدول والحضارات والمعتقدات والثقافات . .

● فالأسرة قيمة من القيم الإسلامية – بل والإنسانية– وعلى صلاحها يبنى صلاح الأمة والاجتماع ، والحفاظ عليها فطرة إنسانية فطر الله عليها الفطر السوية . . ولهذه الأسرة مفهوم إسلامى يقيمها على الزواج الشرعى الذى يحقق الاختصاص بين ذكر وأنثى ، لتضم بعد ذلك البنين والبنات والحفدة ، فى ظل علاقات وواجبات وحقوق الأبوة والأمومة– والبنوة ، وفق منظومة من القيم الإسلامية جعلت وتجعل هذه «المؤسسة– الأسرة» واحة السكن والسكينة والمودة والرحمة ، المحكومة بالميثاق الغليظ ، ميثاق الفطرة التى فط الله الناس عليها . .

لكن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة التحلل والتفكك الأسرى ، الذى نخر وينخر فى عظام المجتمعات الغربية- التى عزفت عن «الزواج» واستبدلته «بالرفقة» . . والتى أصبح ٤٠٪ من طفولتها تولد خارج الأسر الشرعية ، أى عن طريق الزنا ، و ٥٠٪ من هؤلاء الأطفال يعيشون خارج الأسر الشرعية - أى مع «رفيق» الأم ، أو «رفيقة» الأب- . . والتى يهدد الانقراض العديد من شعوبها بعد عدة عقود . . وتهدد الشيخوخة الكثير من هذه الشعوب بعد عدة سنوات- . . تسعى وثيقة مؤتمر السكان لعولمة منظومة القيم الغربية المدمرة للأسرة ، فتدعو -صراحة- و «**بإلحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية إلى إعطاء أولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية** . .»![9]

ولا تدع هذه الوثيقة أمر «**تغيير الهياكل الأسرية**» للظنون والاجتهادات . . وإنما تتحدث عن «اقتران» لا يقوم على «الزواج»- وهو ما يشيع فى العلاقات المحرمة دينيا بين رجلين ، أو امرأتين عند الشواذ- . . بل وتتجاوز «**إباحة**» ذلك إلى ترتيب «**الحقوق**» لهذه الأنواع من «**الأسرة**» ، فتقول : «**وينبغى القضاء على أشكال التمييز فى السياسات المتعلقة.. بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى** . .»! . .

---

(٩) «مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولى للسكان والتنمية»- القاهرة فى ٥ - ١٥- سبتمبر سنة ١٩٩٤م- الترجمة العربية الرسمية- الفصل الثانى عشر - الفقرة : ٢٤- طبعة سنة ١٩٩٤ م .

وتدخل فى عداد الأسرة ، ذات الحقوق : «**الأعداد الكبيرة من الأفراد غير المتزوجين والناشطين جنسيا . .**»![10]

فنحن أمام عولمة مفهوم «للأسرة» لا يقف بها عند حدود «الزواج» و«الأزواج» ، بل يدخل فيها كل الأفراد الناشطين جنسياً ، ومن كل الأعمار . . وهو مفهوم غربى ، أصبح متعارفاً عليه فى الغرب ، فتبنته برلمانات ، بل وتبنته كنائس ، واقتربنا من أن نقرأ له «لا هوتا - لا دينيا»؟! . .

● وإذا كان الإسلام قد سن سنة «المساواة» بين الإناث والذكور ، فى الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء ، مع الحرص على توزيع للعمل يحافظ على فطرة التمايز بين الذكورة والأنوثة ، فجعل هذه المساواة هى «**مساواة الشقين المتكاملين، وليس الندين المتماثلين**» حفاظا على دواعى الاقتران والشوق والسعادة للنوع الإنسانى . . فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى إلى انقلاب فى علاقات المرأة بالرجل . . فبدلا من تبنى مصطلح «**المساواة**» تتحدث عن «**تمكين المرأة**»! . . وبدلا من توزيع العمل بين الرجال والنساء وفق فطرة وطبيعة الذكورة والأنوثة - وهى التى أشار إليها حديث رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . فالرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم . والمرأة راعية فى بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم . . ألا فكلكم راع وكلكم

---

(١٠) المصدر السابق . الفصل الخامس . الفقرة : ٥ ، والفصل الثانى . المبدأ : ٧ . والفصل السابع . الفقرات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ .

مسئول عن رعيته» - رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد - .. بدلا من هذا التوزيع الفطرى للعمل بين النساء والرجال ، تدعو الوثيقة إلى دمج الرجل فى المنزل ، ودمج المرأة فى المجتمع دمجاً كاملاً ، فتقول : «**ويتعين على الحكومات والزعماء الوطنيين والمجتمعيين أن يشجعوا مشاركة الرجل الكاملة فى تنظيم الأسرة وتربية الأطفال والعمل المنزلى.. وتمكين المرأة واستقلالها وإدماجها بشكل تام فى الحياة المجتمعية** ..»[١١] .

● وإذا كانت العفة قيمة من القيم الإسلامية - بل والإنسانية - وإذا كان الإحصان بالزواج الشرعى هو السبيل لتحويل الغرائز الجنسية والأشواق العاطفية إلى حياة بناءة وراقية فى المجتمع السوى .. فإن وثيقة مؤتمر السكان تتحدث عن «المتعة الجنسية المأمونة والمسئولة» ، وليس عن «المتعة الجنسية الشرعية والمشروعة والحلال» .. فمصطلح «الصحة الجنسية» - الذى هو أكثر المصطلحات تكراراً فى هذه الوثيقة! - يعنى : «تكامل الجوانب الجسدية والعاطفية والعقلية والاجتماعية للوجود الجنسى ، بأساليب إثرائية تبرز الشخصية وتقوى التفاهم والحب ، وفق نهج إيجابى تجاه النشاط الجنسى البشرى»[١٢] .

مع اعتبار هذا النشاط الجنسى البشرى حقاً طبيعياً وإنسانياً عاماً من حقوق الجسد ، كالغذاء ، وغير مقصور على المتزوجين زواجاً

---

(١١) المصدر السابق . الفصل الرابع . الفقرات : ١١ ، ٢٦ .

(١٢) المصدر السابق . الفصل السابع . الفقرة : ١٠ .

شرعيا . . فهو - بنص الوثيقة - : «**حق لجميع الأزواج والأفراد - [لاحظ «الأفراد»] - سواء كان امرأة أو رجلا أو مراهقاً أو مراهقة.. وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى توفير هذه الحقوق لجميع الأفراد، من جميع الأعمار، في أسرع وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥..**»(١٣) .

أي والله! . . هذا هو نص الوثيقة ، يستنفر العالم لتوفير حقوق الإباحية الجنسية لكل الناشطين جنسياً ، من كل الأعمار ، في أسرع وقت ممكن ، وفي موعد لا يتجاوز سنة ٢٠١٥م . . حتى ليظن المرء ، وهو يقرأ هذا الاستنفار ، أن العفة قد غدت التهديد الأخطر للسلام العالمي ! . .

ولهذه «القيم» الغربية ، تحدثت الوثيقة عن «**السلوك الجنسي المسئول**» ، وليس عن «**السلوك الجنسي الشرعي ، أو الحلال**» «وذلك من أجل الوقاية من الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية . . فالهدف هو تشجيع - [لاحظ «تشجيع»] - التطوير المناسب للنشاط الجنسي المسئول بما يسمح بوجودي علاقات المساواة والاحترام المتبادل بين الجنسين ويسهم في تحسين نوعية **حياة الأفراد** . .»(١٤)

فالمتعة الجنسية عالية المستوى ، هي حق للجميع ، بشرط أن تكون الممارسة الجنسية مسئولة ، وقائمة على التراضي والاحترام ، تحسينا لنوعية حياة الأفراد ! . .

---

(١٣) المصدر السابق . الفصل السابع الفقرات : ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٤ .

(١٤) المصدر السابق . الفصل الثامن الفقرات : ٣٥ ، ٣١ . والفصل السابع . الفقرات : ٣٦ ، ٣٤ ، ٣٢ .

● وإذا كان الإحصان ، بالزواج المبكر ، هو مما يحافظ على قيمة العفة ، وييسر الاستمتاع الشرعى والحلال بالعلاقات العاطفية والجنسية بين الأزواج . . فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة منظومة القيم الغربية ، التى غدت تحرم وتجرم الزواج المبكر ، وتدعو إلى اعتماد «البدائل» التى تصرف عن هذا الزواج المبكر . . «**فالهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة.. وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر.. ولاسيما بإتاحة بدائل تغنى عن الزواج المبكر..**»[١٥].

وفى ذات الوقت تتيح الزنا كبديل لهذا الزواج المبكر! . . فلقد أفردت هذه الوثيقة حيزاً كبيراً -وملفتاً للنظر- للحديث عن حقوق المراهقين والمراهقات الناشطين جنسياً فى المعاشرات الجنسية ، بل وفى الحمل ، والإجهاض الآمن ، وتنظيم الأسرة . . . «**فالهدف هو الوفاء بالاحتياجات الخاصة بالمراهقين والشباب وخاصة الشابات.. والخدمات عالية الجودة فى مجال الرعاية الصحية والجنسية والتناسلية.. كيما يتعاملوا مع نشاطهم الجنسى بطريقة إيجابية ومسئولة.. وحماية وتعزيز حقوق المراهقين فى التربية والمعلومات والرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية.. وأن تخفض عدد حالات حمل المراهقات تخفيضاً كبيراً.. فالمراهقون الناشطون جنسياً يحتاجون نوعاً خاصاً من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة.. كما أن المراهقات اللاتى يحملن يحتجن إلى**

---

(١٥) المصدر السابق . الفصل السادس . الفقرة : ٧ . والفصل الرابع . الفقرة : ٢١ .

دعم خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلى خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة.. ولذلك، يتعين على البرامج إشراك وتدريب كل من يتسنى لهم توفير التوجيه للمراهقين فيما يتعلق بالسلوك الجنسى والتناسلي المسئول، وبخاصة الأبوين، والأسر، وأيضا المجتمعات المحلية، والمؤسسات الدينية، ووسائل الإعلام، وجماعات الأقران.. وينبغى أن تعمل الحكومات على محاربة التمييز ضد الحوامل الشابات . .»[١٦] .

أى والله! . . تدعو وثيقة مؤتمر السكان إلى استنفار الدنيا ، بما فى ذلك المؤسسات الدينية!- لتوفير «حقوق» الزنا للمراهقين والمراهقات ، وكذلك حقوق الحمل والإجهاض الآمن وتنظيم الأسرة . . بعد حمايتهم من «الزواج المبكر»! . .

❊ ❊ ❊

ذلكم هو نموذج عولمة قيم التفكك الأسرى ، والانحلال الجنسى- الغربية- وفرضها على العالم ، باسم الأمم المتحدة ، ومن خلال وثيقة المؤتمر الدولى للسكان والتنمية . . هذه الوثيقة التى ربطت بين عولمة القيم وعولمة الاقتصاد . . فقالت : « . . ويؤكد المؤتمر الدولى للسكان والتنمية من جديد الحاجة إلى إدماج البلاد ذات الاقتصاديات التى تمر بمرحلة انتقال - [أى التى كانت اشتراكية]- فضلا عن جميع البلدان الأخرى فى الاقتصاد العالمى دمجا كاملا . .»[١٧] .

---

(١٦) المصدر السابق . الفصل السادس . الفقرة : ٧ ، ١١ . والفصل السابع .الفقرات : ٢ ، ٥ ، ٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤١ . والفصل الحادى عشر . الفقرة : ٨ .

(١٧) المصدر السابق . الفصل الثانى . المبدأ : ٦ .

وإذا كانت بعض البلاد – وخاصة الإسلامية – قد تحفظت على بعض فقرات هذه الوثيقة – التزاما بقيمها الإسلامية ، واستجابة للحملة الإسلامية التى قادها الأزهر الشريف ضد الإباحية التى شاعت فيها – فإن الصياغة الخبيثة لهذه الوثيقة قد أجهضت هذه التحفظات عندما جعلت «حقوق السيادة لكل أمة» محكومة «**بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان**» – والتى هى المعايير الغربية ، التى تجعل الحرية الجنسية الطوعية والمسئولة من حقوق هذا الإنسان – كما يشهد الفكر والتطبيق فى الواقع الذى نعيش فيه!! .. وبذلك ، غدت الوثيقة ملزمة للجميع ، بما فى ذلك الدول التى تحفظت على بعض فقراتها .. وتوالت فى نصوصها العبارات التى تقول – مثلا – : «ينبغى للحكومات :

(أ) أن تلتزم على أعلى مستوى سياسى بتحقيق الغايات والأهداف الواردة فى برنامج العمل .

(ب) وأن تقوم بدور قيادى فى تنسيق أعمال المتابعة ورصدها وتقييمها .

– وينبغى إعمال الضمانات وآليات التعاون الدولية لكفالة تنفيذ هذه التدابير .

– وإن وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة ، يتمشى مع القوانين الوطنية ، **ويمتثل للمعايير الدولية لحقوق الإنسان**»[١٨] .. فسيادة الأمة ، وقوانينها الوطنية ، لابد أن تمتثل ،

---

(١٨) المصدر السابق . الفصل السادس عشر . الفقرة : ٧ ، والفصل الرابع . الفقرة : ٩ ، والفصل الثانى . المبدأ : ٦ . وانظر فى جميع ذلك كتابنا [صراع القيم بين الغرب والإسلام] - سلسلة «فى التنوير الإسلامى» طبعة نهضة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٧ م

فى النهاية ، للمعايير الغربية لحقوق الإنسان . . ومنها هذه الحقوق ، التى قررتها هذه الوثيقة ، فى الإباحية والتفكك الأسرى والانحلال! . .

ويشهد على حقيقة هذا «الإلزام» ، أن بلداً مثل مصر - التى عقد فى عاصمتها هذا المؤتمر - كانت فى مقدمة البلاد الإسلامية التى تحفظت على العديد من فقرات وثيقته . . ومع ذلك ، وجدنا تقرير الجمعيات النسائية المصرية ، التى شاركت فى مؤتمر المرأة العربية - بعمان : الأردن - فبراير سنة ٢٠٠٠م- يتحدث عن «**جهود الجمعيات الأهلية المصرية لتنفيذ مقررات بكين**» . . ويعترف هذا التقرير بأن أنشطة هذه الجمعيات قد انصبت على التنفيذ لوثيقة مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤م ووثيقة مؤتمر بكين - الخاص بالمرأة سنة ١٩٩٥م- . . وأن صدور القانون المصرى الجديد للأحوال الشخصية - يناير سنة ٢٠٠٠م - وتكوين «المجلس القومى للمرأة»- فبراير سنة ٢٠٠٠ م- هما استجابة لوثائق تلك المؤتمرات!![١٩] .

ولعل فى ذلك التفسير لعدم ورود كلمة «الأسرة» - مجرد الكلمة- فى أهداف المجلس الأحد عشر ، ولا فى لجانه الإحدى عشرة!! . . ومع ذلك فهو مجلس قومى للمرأة ، فى بلد مسلم ، ينص دستوره على أن الإسلام هو دين الدولة . . وأن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع والقانون . . وبدلا من ذلك ، تتحدث وثائق تكوين المجلس عن دمج المرأة فى التنمية

---

(١٩) صحيفة (الأهرام) - القاهرة- ص ١٣ فى ١٢/ ٢ سنة ٢٠٠٠م «رسالة عمان» للصحفية بهيرة مختار .

الاجتماعية ، فتفصح عن أن وثائق العولمة القيمية هى المرجعية ، وليست المنظومة القيمية للإسلام! . .

بل إن الذين تابعوا - بوعى - احتفالات الجمعيات النسائية فى العالم الإسلامى بيوم المرأة العالمى - فى ٨ مارس سنة ٢٠٠٠م - سيجدون أن جميع هذه الأنشطة والاحتفالات قد تمت تحت شعار «**تمكين المرأة، ودمجها فى التنمية الاجتماعية**» - وهى الصيغة التى صكها مؤتمر القاهرة ، ومؤتمر بكين ! . .

فوثائق هذين المؤتمرين قد غدت المرجعية ، رغم نصوص الدساتير والقوانين فى بلاد الإسلام . . ورغم تحفظات الحكومات الإسلامية على بعض ما جاء فى هذه الوثائق من فقرات! . . بل إن قوانيننا تعدل ، أو تجرى المطالبات بتعديلها ، لتتسق مع ما جاء فى هذه الوثائق من قيم وأهداف! . . ذلك أن وثيقة مؤتمر السكان قد جعلت «المعايير الدولية لحقوق الإنسان» - وهى غربية فى الأساس - المرجعية التى يجب أن «تمتثل» لها «سيادة الأمم وقوانينها الوطنية» . . فغدت عولمة القيم الغربية المرجعية التى توضع الآن فى الممارسة والتطبيق ! . .

- **وعولمة الثقافة الحداثية :**

وإذا كان الإسلام يعتمد للتطور والتقدم - فى الفكر والثقافة - منهاج التجديد - الذى يستصحب الثوابت الإسلامية ، ويجدد فى المتغيرات وفقة الواقع وفقه الأحكام والنظم والمؤسسات ، على النحو الذى يجعل ثقافة الأمة إسلامية دائما وأبدا ، عبر الزمان

والمكان ، ويجعلها كذلك متطورة ومواكبة لكل المستجدات . . حتى لقد جعل الإسلام من هذا المنهاج التجديدى سنة من سنن الفكر لا تبديل لها ولا تحويل ، فقال رسول الله ، ﷺ : «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» رواه أبو داود - . .

إذا كان هذا هو منهاج الإسلام - فى الفكر والثقافة- فإن العولمة الأمريكية تعولم وتعمم وتفرض ثقافة «الحداثة الغربية» ، التى أقامت وتقيم «قطيعة معرفية» مع الموروث ، ومع «الموروث الدينى» على وجه الخصوص . . فمنذ عصر التنوير الغربى - الوضعى والعلمانى والمادى - أقامت ثقافة الحداثة قطيعة مع الله والغيب والدين ، عندما تمحورت حول الإنسان ، بدلا من الله ، وعندما جعلت هذا الإنسان «طبيعياً» ، بدلا من أن يكون «ربانياً» ، نفخ الله فيه من روحه ، واتخذه خليفة عنه للنهوض برسالة العمران . .

ولقد كشف علماؤنا هذه النزعة «اللادينية - الدهرية» فى ثقافة الحداثة الغربية منذ فجر يقظتنا الحديثة والاحتكاك مع هذه الحداثة الوافدة على بلادنا فى ركاب الاستعمار . . فعبد الرحمن الجبرتى [١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢م] عندما احتك بفكر الحداثة الوافد مع بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] والحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣- ١٢١٦هـ ١٧٩٨- ١٨٠١م] لم ير فى هؤلاء الفرنسيس نصارى كتابيين ، ذوى ثقافة نصرانية ، وإنما اكتشف حقيقة فلسفتهم الوضعية العلمانية اللادينية ، التى أقامت قطيعة معرفية مع مطلق

الإيمان الديني . . فكتب - بعمق وعبقرية - معلقا على دعاوى بونابرت أنه «**مخلص هو والفرنساوية للإسلام، ومحترم لنبي الإسلام**» فقال: «**إن إسلامهم نَصْب.. فلقد خالفوا النصارى والمسلمين، ولم يتمسكوا من الأديان بدين، وهم دهرية مُعَطلون، وللمعاد والحشر منكرون، وللنبوة والرسالة جاحدون . .**»[٢٠] .

وكذلك رفاعة رافع الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ ١٨٠١ - ١٨٧٣م]- الذى خبر ثقافة الحداثة الأوربية فى باريس - فلقد كتب عن جمهور أهل باريس وأغلبيتهم ، الذين «**ليس لهم من دين النصرانية إلا الاسم فقط.. فهم إباحيون، يقولون إن كل عمل يأذن فيه العقل صواب، ولذلك لا يصدقون بشيء مما فى كتب أهل الكتاب، لخروجه عن الأمور الطبيعية.. ولهم فى الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية.. وإن كانت بلادهم من أحكم بلاد الدنيا وديار العلوم البرانية.. علوم التمدن المدنى..**» .

ثم صاغ الطهطاوى هذه المعادلة - ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين . . والبراعة فى العلوم الدنيوية - شعراً قال فيه :

أيوجد مثل باريس ديار ∴ شموس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح ∴ أما هذا وحقكم عجيب ![٢١]

أما جمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م]

---

(٢٠) [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٣٤ .

(٢١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى] جـ٢ ص١٥٩، ١٦٠. دراسة وتحقيق: محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م .

فقد أفاض فى الحديث عن «دهرية» هذه الثقافة الحداثية التنويرية الأوربية ، التى أحيا فلاسفة تنويرها - وخاصة «فولتير» [١٧٣٤ - ١٧٧٨م] و «روسو» [١٧١٢ - ١٧٧٨م]- دهرية «أبيقور» الكلبى [٣٤١- ٢٧٠ق . م] ، الأمر الذى جعل الثورة الفرنسية وبالاعلى الثقافة الفرنسية المتواصلة مع النصرانية . . **فبعد أن كان الشعب الفرنسى مشرقا للتمدن فى سائر الممالك الغربية.. ظهر فيهم وولتير وروسو، يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام بإنارة الأفكار وهداية العقول، فنبشا قبر أبيقور الكلبى، وأحييا مابلى من عظام الدهريين، ونبذا كل تكليف دينى، وغرسا بذور الإباحية والإشتراك، وزعما أن الآداب الإلهية جعليات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنسانى، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء - [برأهم الله مما قالا] - وكثيرا ما ألّف وولتير من الكتب فى تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح فى أنسابهم وعيب ما جاءوا به، فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنساويين، ونالت من عقولهم، فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم. وبعد أن أغلقوا أبوابها فتحوا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة (فى زعمهم) شريعة الطبيعة . .»**[٢٢].

وعندما قامت فى بلادنا - بواسطة المثقفين الموازنة . . الذين صيغت عقولهم وثقافتهم فى مدارس الإرساليات الفرنسية -

(٢٢) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى] ص ١٦١، ١٦٢ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م .

مؤسسات ثقافية وصحف ومجلات احترفت التبشير بثقافة الحداثة الغربية - وفى مقدمتها مجلة «المقتطف» [١٢٩٣ - ١٣٧١ هـ ١٨٨٩- ١٩٥٢ م] التى أخذت تسرب هذه الحداثة اللادينية تحت لافتات «العلم» و «النظريات العلمية» ، كشف عبدالله النديم [١٢٦١ - ١٣١٣هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦] الطابع الإلحادى لهذه الثقافة الحداثية ، وتحدث عن هذا الفريق من كتاب «المقتطف» واصفاً إياهم بأنهم **«أعداء الله وأنبيائه.. والأجراء الذين أنشئوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الخالق. وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وما هى إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان . .»!**[٢٣] .

هكذا تمتع علماء الأمة بهذا العمق ونفاذ الرؤية ، فميزوا بين نهضة الغرب فى العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وبين وضعية ولادينية ثقافته الحداثية . . وهو عمق ونفاذ رؤية افتقر إليهما الذين انخدعوا بهذه الحداثة من مثقفينا المتغربين! . .

ولا يحسبن أحد أن هذا الذى تحدث عنه أئمة يقظتنا من قيام القطيعة المعرفية بين ثقافة الحداثة الغربية وبين الدين هو مما يمارى

(٢٣) مجلة (الأستاذ) - القاهرة- العدد التاسع والثلاثون . ص ٩٢٣ ، ٩٢٤ - فى ٧ ذى القعدة سنة ١٣١٠ هـ مايو سنة ١٨٩٣م .

فيه الغربيون - كما يمارى فيه بعض المتغربين!- . . فهذه القطيعة هى من المسلمات التى يعترف بها ويعلنها دعاة هذه الحداثة ، عندما يقولون : «**إن أيديولوجيا التنوير قد فصلت بن عصرين من الروح البشرية: عصر الخلاصة اللاهوتية، وعصر الموسوعة لفلاسفة التنوير.. ومنذ الآن فصاعدا راح الأمل بمملكة الله ينزاح لكى يخلى المكان لتقدم عصر العقل وهيمنته. وهكذا راح نظام النعمة الإلهية ينمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة.. لقد أصبح الإنسان وحده مقياساً للإنسان . .**»![24] .

بل إن الاعتراف الحداثى بهذه القطيعة مع الله والدين ليبلغ حد الاستفزاز لأى لون من ألوان الإيمان بأى دين من الأديان ، عندما يعرّف أحد الحداثيين هذه الحداثة عند واحد من أبرز دعاتها المعاصرين - د . محمد أركون- فيقول عنها : «**إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته.. وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان أمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون . .**»![25] .

---

(٢٤) هاشم صالح - مجلة (الوحدة) - المغرب - عدد فبراير - مارس ١٩٩٣م - ص ٢٠ ، ٢١ - وهو ينقل عن كتاب : إميل بولا [الحرية ، العلمنة : حرب شطرى فرنسا ومبدأ الحداثة] منشورات سيرف - باريس سنة ١٩٨٧م- . وأنظر كتابنا [الإسلام بين التنوير والتزوير] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥ م .

(٢٥) د . على حرب «مسيرة التقدم والحداثة بين أنصاف زيتون وأشبار أركون»- مقال فى صحيفة (الحياة)- لندن- فى ١٨ / ١١ / ١٩٩٦ م -

فثقافة الحداثة - باعتراف أهلها . . ورؤية علمائنا لحقيقتها - هي ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين . . ثقافة الدنيا والدنيوية ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ -الجاثية : ٢٤- ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ -الروم: ٦، ٧- . . ثقافة الإنسان «الطبيعى- الحيوانى» ، لاثقافة الإنسان الربانى ، الخليفة لله . . ثقافة عبادة الطبيعة والدنيا ، بدلا من عبادة الله ! . .

وهذا العقل الذى ألهته وعبدته هذه الثقافة الحداثية ، عندما انتقلت به من «النسبية» إلى «الإطلاق» ، قائلة : «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل»! . . هو غير العقل والعقلانية فى الثقافة الإسلامية المؤمنة ، ذلك الذى لاغنى عنه كملكة من ملكات الإنسان ، ونعمة من نعم الله على هذا الإنسان ، والجوهر الذى تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات ، ومناط التكليف الإنسانى . . لكنه ليس وحده السبيل إلى المعرفة ، وإنما يزامل فى هذه المهمة ويتآزر ويتآخى مع الوحى والتجربة والوجدان ، لإفراز الثقافة المتوازنة . . **وفى مقابل التأليه الحداثى للعقل، نجد الرؤية الإسلامية التى صورها حجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] عندما قال: «فمثال العقل: البصر السليم من الآفات والآذاء. ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء. فأخلق أن يكون**

طالب الاهتداء، المستغنى بأحدهما عن الآخر فى غمار الأغبياء. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله المتعرض لنور الشمس مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور . .»[26] .

وإذا كان الاستعمار الغربى، فى مرحلة الغزو المسلح، قد حاول فرض هذه الثقافة الحداثية علينا بحد السيف، و«بحق الفتح!»، فدعى الفرنسيون - فى شمال إفريقيا- إلى «**الفصل بين الإسلام والاستعراب**»- لإحلال الفرنسية محل العربية- وإلى «**فصل الدين عن القانون المدنى.. وحصر الإسلام فى الاعتقاد وحده.. لدمج العرف فى القانون الفرنسى بدلا من القانون الإسلامى.. لإنشاء نظام للعدلية فى اتجاه فرنسى خالص.. وإحداث التمدن خارج دائرة الإسلام . .**»[27] . . فإن هذا الغرض لثقافة الحداثة، والقطيعة مع الإسلام، هو ما تسعى إليه العولمة الغربية هذه الأيام. . لا بواسطة الفتح المسلح- كما كان الحال إبان الاستعمار التقليدى - وإنما بواسطة شرائح الغلو العلمانى فى بلادنا، تلك التى صنعها الاستعمار على عينه، ويمول مراكز «أبحاثها» تمويلا علنيا ومباشرا . . ومن خلال تحالف هذا الغلو العلمانى مع شرائح من الأقليات التى دفعتها وتدفعها الحداثة والعلمانية إلى الولاء والاحتماء بالغرب، بدلا من الولاء للهوية الإسلامية لثقافتنا الوطنية والقومية . . فيدعو هذا التحالف إلى الانقلاب على هوية المجتمع، بإلغاء مواد الدستور التى تحدد الهوية

---

(٢٦) الاقتصاد فى الاعتقاد ص٢٠٣ - طبعة مكتبة صبيح- القاهرة - بدون تاريخ .

(٢٧) د. محمد عمارة (الإسلام والتعددية : التنوع والاختلاف فى إطار الوحدة) ص ٢٧٦ - ٢٧٨ . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م .

الإسلامية لدين المجتمع وقيمه وثقافته وقانونه - كما هو حادث فى مصر الآن- . . وتسيِّر المظاهرات ، وتريق الدماء لوقف إسلامية الثقافة القانونية - كما حدث فى نيجيريا - مارس سنة ٢٠٠٠ م - . .

تلك هى ثقافة الحداثة ، التى بدأ الغرب تعميمها ، بالترغيب والترهيب ، منذ قرنين من الزمان . . والتى تعولمها ، بالاجتياح ، ثورة وسائل الاتصال التى نعيش فى ظلالها هذه الأيام . .

● **والعولمة اللغوية:**

ومع عولمة القيم الغربية . . وثقافة الحداثة ، تتم - أيضا - عولمة اللغات الغربية ، لتزيح اللغات الوطنية والقومية عن عروشها ! . .

وإذا كانت «الفرنسة» و «الجلنزة» و «الروسنة» قد بدأت مع الاستعمار الغربى الحديث ، ولازالت بصماتها السوداء باقية فى ثقافتنا وإعلامنا ولغة خطابنا وشركاتنا ولافتات متاجرنا فضلا عن مدارسنا وجامعاتنا . . فإن العولمة الاقتصادية ، التى تحولنا إلى «عمالة» فى الشركات الغربية عابرة القارات والجنسيات ، وإلى مستوردين وموزعين و«مستهلكين» لمنتجات تلك الشركات ، ستفرض علينا - بحكم العمل والاستهلاك - إحلال لغات تلك الشركات وأسماء سلعها محل لغاتنا الوطنية والقومية . . حتى تصبح بلادنا «سوبر ماركت» لا علاقة لما فيه بلغاتنا ، بما فى ذلك العربية ، لسان الإسلام ، ولغة القرآن الكريم ! .

● **والعولمة الدينية:**

وغير العولمة للاقتصاد ، والسياسة ، والتشريع ، والعسكرية ، والقيم ، والثقافة . . ، واللغات . . هناك عولمة الدين ، بتنصير المسلمين ، طموحا إلى إلغاء أمتنا وحضارتنا ، وطى صفحة الإسلام من سجل الوجود! . .

وإذا كان الوعد الإلهى قد جعل ويجعل هذا الهدف المجنون مستحيلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾-الحجر : ٩- . . فيجب أن نفرق بين «حفظ» الدين ، وبين «إقامة» الدين . . فالله ، سبحانه وتعالى ، قد وعد بحفظ القرآن - ديوان الدين الإسلامى- لكن إقامة هذا الدين هى تكليفنا نحن ومهمتنا نحن . . وهذا هو الذى يتعرض لامتحان العولمة على جبهة التنصير . .

وإذا كانت الأرثوذكسية السلافية الغربية تمارس هذه المهمة ، غير المقدسة ، عن طريق الإبادة ، والتطهير «العرقى - الدينى» ، والمقابر الجماعية التى تدفن فيها المسلمين - من البلقان إلى القوقاز- . . فإن الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد أعلنت الحرب لتنصر المسلمين- بدلا من تنصير بيتها الأوربى ، الذى انحدر إلى الإلحاد واللا أدرية - فرفعت شعار : «إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م» . . فلما خيب الله آمالها ، لم ترعوى ، وإنما زحزحت التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م! . . وهى لاتستحى من الحديث عن «التحدى الإسلامى» و «الفتح الإسلامى لأوربا» فيقول مساعد بابا الفاتيكان ، ومسئول المجلس الفاتيكانى للثقافة الكاردينال «بول بوبار»- فى حديثه لصحيفه «الفيجارو» الفرنسية : «**إن الإسلام يشكل تحديا بالنسبة لأوربا، وللغرب عموما. وإن التحدى الذى يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين، وثقافة، ومجتمع، وأسلوب حياة وتفكير وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوربا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع، ويتناسون الصيام الذى يفرضه عليهم دينهم، وفى الوقت نفسه ينبهرون بصيام المسلمين فى شهر رمضان!**»[٢٨] .

أما البروتستانتية الغربية ، فإن بروتوكولات قساوسة التنصير فيها

(٢٨) صحيفة (الشرق الأوسط) - لندن - فى ١ - ١٠ - سنة ١٩٩٩م .

تبلورت فى مؤتمر «كولورادو» -بأمريكا- مايو سنة ١٩٧٨م- تلك التى تقول : «**إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية - والنظام الإسلامى هو أكثر النظم الدينية المتناسقة أجتماعيا وسياسيا.. ونحن بحاجة إلى مئات المراكز. للتركيز على الإسلام، لفهمه، ولاختراقه فى صدق ودهاء! . .**»[29] .

ومع التخطيط لاختراق الإسلام وثقافته ، بالاعتماد المتبادل مع الكنائس المحلية . . ومن خلال العمالة المدنية الأجنبية . . تعلن البروتستانتية - بلا حياء . . ولا أخلاق- أن صناعة الكوارث فى العالم الإسلامى هى السبيل إلى تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية . . فيقولون : «**لكى يكون هناك تحول إلى النصرانية فلابد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التى اعتادوها. إن تقديم العون لذوى الحاجة قد أصبح أمرا مهما فى عملية التنصير. وإن إحدى معجزات عصرنا، أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التى كانت تناهض العمل التنصيرى، فأصبحت أكثر تقبلا للنصارى! . .**»[30] .

هكذا تتم العولمة -والاجتياح- على كل الجبهات . . ومختلف الميادين . . من الاقتصاد والسياسة ، إلى القيم والثقافة ، وحتى الدين . . مروراً بالعسكرية . . والتشريعات . . واللغات ! . .

(٢٩) [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى] - الترجمة العربية لوثائق « مؤتمر كولورادو»- ص ٧٥٢ - طبعة مركز دراسات العالم الإسلامى - مالطا سنة ١٩٩١م - وانظر كتابنا [الغارة الجديدة على الإسلام] ص ٨٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م .

(٣٠) [التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامى] ص ٢٤٢ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ .

إن عظم المخاطر، وشراسة التحديات، لاتعنى أن الصورة قاتمة، ولا أننا أمام طريق مسدود.. ونقطة البداية- فى مخاطر العولمة.. ومواجهتها والتعامل معها- هو أن تعى قوى اليقظة والأصالة - الوطنية.. والقومية.. والإسلامية- فى عالم الإسلام حقائق الموقف، دونما تهوين ولا تهويل، وأن تحدد نقاط قوتها، والفرص المتاحة أمامها فى مواجهة هذه التحديات.. أى أن تعى حقائق وقوى وتضاريس الموقف الداخلى والخارجى على السواء..

● فالغرب، الذى تأتى منه أعاصير العولمة، ليس كتلة واحدة مصمتة ولا صماء.. وإنما يجب أن نميز فيه بين «**الإنسان**» الغربى.. و«**العلم**» الغربى.. و«**المشروع**» الغربى.. فالإنسان الغربى لا مشكلة لنا معه، بل قد يكون هذا الإنسان ضحية «لصناعة الصورة» فى مارد الإعلام المتحيز. ضد قضايانا العادلة، ومن ثم فهو بالنسبة لقضايانا يمثل إمكانية صداقة ومعاونة.. بل إن هذا الإنسان يفتح عقله وقلبه حتى لإسلامنا إذا نحن أحسنا خطابه، وعرضنا عليه بضاعتنا بمنطق العقل والعدل والمصلحة.. وفى قضية العولمة، قد يكتشف هذا الإنسان الغربى أنه هو نفسه -معنا- ضحية لمخاطر التوحش الرأسمالى الذى تهددنا عولمته!..

وكذلك العلم الغربى. ليست بيننا وبينه مشكلة.. بل إنه- بالنسبة لنا- هو الحكمة المنشودة التى هى ضالتنا، والتى يجب أن

نسعى إليها أنّى وجدناها ، فنحن الأحق بها . . فهو سلاح من أمضى أسلحة قوتنا ، التى بدونها لن نستطيع مواجهة مايتهددنا من مخاطر وتحديات . .

أما مشكلتنا مع العولمة الغربية فهى مع «المشروع الغربى» والأمريكى بالدرجة الأولى، و «قفازه» الصهيونى على أرض فلسطين.. فعلينا أن نميز بين غرب وغرب، وأن نستعين على «المشروع» الغربى - وبالذات جوانبه المعادية - بما فى الغرب من إمكانات وطاقات يمكن الاستفادة منها، والاستعانة بها، أو على الأقل تحييدها . . ولنتذكر تلك السنة الحميدة لمشروعاتنا النهضوية وحركات تحررنا الوطنى - إبان الاستعمار التقليدى - عندما كانت قوانا الحية والقائدة تتحالف مع قوى العدل والحرية فى الغرب ، أو تحسن الاستفادة من التناقضات الغربية . . صنع ذلك محمد على باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] وجمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] وتنظيم «العروة الوثقى» . . ومصطفى كامل باشا [١٢٩١ - ١٣٢٦هـ ١٨٧٤- ١٩٠٨م] وحزبه الوطنى . . وكذلك كل العقلاء عندما يخوضون المواجهات مع التحديات . . ولقد كانت لنا تجربة ، فى مواجهة عولمة القيم ، عندما تحالفنا مع الكنيسة الكاثوليكية ضد سلبيات وثيقة مؤتمر السكان والتنمية سنة ١٩٩٤م . . وعندما وجدنا أنفسنا فى خندق واحد مع مئات منظمات المجتمع المدنى الغربية ضد العولمة ومنظمة التجارة العالمية فى مدينة «سياتل» - الأمريكية - فى نوفمبر سنة ١٩٩٩م - تلك المنظمات التى هتفت مظاهراتنا : نريد **تجارة عادلة، لاحرة!** . .

فكانت عونا لمندوبى دول الجنوب فى مؤتمر «سياتل» وسبباحال بين قوى العولمة وبين تحقيق ماتريد . .

● **كذلك، على قوى اليقظة والأصالة فى عالم الإسلام، أن تميز فى مكونات ظاهرة العولمة بين التقنيات التى تحول العالم إلى قرية واحدة، والتى هى بالنسبة لنا «فرص متاحة» للتطور والتقدم والتعلم، إذا نحن أحسنا استخدامها وتوظيفها، وحملناها بالمضامين المتسقة مع هويتنا وقيمنا الإسلامية.. علينا أن نميز بين هذه التقنيات وبين العولمة كايديولوجية تشرع وتبرر وتكرس لهيمنة الغرب والشمال على العالم بأسره.. وأيضا، أن نميز بين هذه التقنيات وبين المصالح الغربية غير المشروعة، التى تسعى إليها شركات الغرب العابرة للقارات من وراء العولمة . .**

إن تحول العالم ، بتقنيات ثورة الاتصال ، إلى قرية عالمية ، هو حقيقة وواقع . . ولكن أيديولوجية هيمنة العولمة الغربية لا تجعل بيوت هذه القرية وسكانها سواء ، لأن أيديولوجية العولمة تريد السيادة «**التوازن القوى**» - وهو مختل خللا فاحشاً - بدلا من «**توازن المصالح**» والثقافات والحضارات ، الذى يحقق «**العالمية الإنسانية**» - بدلا من «**العولمة الغربية**».. **فنحن نريد «القرية العالمية»، التى يسودها هذا التوازن فى المصالح، والتفاعل فى الثقافات.. ونرفض «القرية المعولمة»، التى فيها القاتل والمقتول، ومن تُنزع سيادته عن أرض وطنه، ومن ينزع هذه السيادة من أصحابها، ومن يُحرم من حقه الفطرى فى تقرير المصير، ومن يقرر مصائر الآخرين، ومن يحمى - بالقوة - طغيان الاحتكارات الرأسمالية العالمية على**

حساب الحمايات الوطنية لاقتصادات الدول النامية.. فموقفنا يجب أن يكون ضد «القرية المعولمة» ومع «القرية العالمية».. إننا لسنا ضد التقنيات التى تفتح الحدود وتزيل السدود، ولكننا نريد استخدام هذه التقنيات لفتح الحدود بين دول عالم الإسلام، لا أن يكون الفتح فقط لحدود كل بلد مسلم مع مركز الهيمنة الغربية.. فالتقنيات التى تفتح الحدود - رأسيا مع الشمال، يمكن ويجب أن تفتح حدودنا - أفقيا - مع دول الجوار الإسلامى، لتحصيل العافية التى تمكننا من تحمل رياح الشمال !..

وكذلك الحال بين عالم الإسلام ودول وحضارات الجنوب، فتساند دائرتنا الحضارية مع هذه الحضارات هو جزء من ترتيب الإمكانات لتحقيق شروط التوازن فى هذه المواجهات..

● كذلك، على قوى اليقظة والأصالة - الوطنية والقومية والإسلامية - أن تكشف زيف التغريب الفكرى فى بلادنا، ذلك الذى رحبت رموزه بالعولمة، باعتبارها «واقعا.. وقطارا.. ركوبه قضاء وقدر»، والامتناع عن اللحاق به سيودى بالرافضين والمترددين إلى مصير الهنود الحمر!.. هؤلاء الذين زعموا «أن الحداثة الغربية عموما، والعولمة المعاصرة خصوصاً، وما أفرزته من ثقافة.. فى طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية شاملة بكل ما فى الكلمة من معنى فلا شىء قادر على الوقوف فى طريقها، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصنع شيئا أمام ثقافة العولمة، أحببنا ذلك أو كرهنا، وافقنا أو رفضنا»!..[31].

---

(٣١) د. تركى الحمد «هوية بلاهوية.. نحن والعولمة» - بحث مقدم إلى مؤتمر «العولمة وقضايا الهوية الثقافية» - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - مارس سنة ١٩٩٨م-

علينا أن نكشف زيف هذا «المنطق» التغريبى ، بالتمييز بين «الواقع» وبين «التسليم بهذا الواقع» . . **فالعولمة - كطور جديد فى واقع وعلاقة النظام الغربى، وخاصة الأمريكى، بالعالم - هى حقيقة لاينكرها إلا واهم، ولكن المطلوب هو «التعامل» مع هذا الواقع، وليس «التسليم والقبول» بهذا الواقع . .**

لقد جاء على عالمنا الإسلامى حين من الدهر عمته بلوى الاستعمار الأوربى الحديث . . ومن قبل واقع هذا الاستعمار الحديث ، عاش عالمنا الإسلامى واقع الغزوة الصليبية ، التى دامت- هى الأخرى- قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦- ١٢٩١م] وإبان ذلك واجهت أمتنا واقع الاحتلال العسكرى والنهب الاقتصادى والاستعمار الاستيطانى . . وفى مفردات ذلك الواقع تحولت القدس إلى مدينة لاتينية صليبية . . والمسجد الأقصى إلى كنيسة . . والأزهر إلى اصطبل لخيل «بونابرت» . . والجزائر إلى قطعة من فرنسا . . الخ . . الخ . . لكن الأمة «تعاملت» مع هذا «الواقع» حتى غيرته ، ولم «تقبل» بذلك الواقع ، أو «تلحق» به ، أو «تندمج» فيه . . فالاعتراف بالواقع شىء ، والقبول به شىء آخر . . وتلك حقيقة يجب أن نكشف بها زيف التغريب الفكرى ، والذى جعل نفراً من مثقفينا أشد حماساً للعولمة الغربية ، ولتحرير التجارة العالمية من جماهير غربية تظاهرت - فى «سياتل» و «ديفوس» سنة ١٩٩٩م . . و «بانكوك» سنة ٢٠٠٠ م- ضد هذه العولمة ، واصفة إياها «**بالامبريالية الجديدة**» ! . .

كما لابد من كشف العمالة الحضارية للذين لم «ينبهروا»

بالعولمة فقط ، وإنما رحبوا بها باعتبارها الاجتياح للقيم والثقافة الإسلامية التى يكرهون ! . .

● كذلك ، علينا أن نبرز ونثمن ونعظم وعى كثير من حكوماتنا ونظمنا وطبقاتنا الإجتماعية بمخاطر العولمة ، وسعيها إلى ترتيب البيت الإسلامى فى مواجهة تحدياتها . . وأن نميز بين مواقف «صانع القرار» - ويده فى النار - وبين شرائح التغريب الثقافى ، المحسوبة أحيانا على صانع القرار ! . .

ففى الوقت الذى كان نفر من شواذ المثقفين فى مصر يحتفلون مع فرنسا بمرور مائتى عام على غزوها - بقيادة «بونابرت» - لمصر والشرق - أى يحتفلون بالاحتلال بدلا من الاستقلال! - كانت الحكومة المصرية تتململ ، شاكية من العولمة ، التى جعلت أوربا ، وفى المقدمة منها فرنسا ، ترفع على مصر قضية إغراق الأسواق الأوربية بالسلع المصرية! . . الأمر الذى أفضى إلى خسارة مصر ٤١٪ من تجارتها مع أوربا . . فى حين أن واقع أرقام التجارة كان يقول : **إن مصر قد صدرت إلى فرنسا بـ ٤٠ مليون دولار، واستوردت منها بـ ٧ مليارات!! . .**[٣٢] .

ولقد كان خطاب مصر الدولة فى مؤتمر «ديفوس» سنة ١٩٩٨م دعوة لموقف موحد ضد مخاطر العولمة ، لاعلى اقتصادات الجنوب النامية وحدها ، وإنما على اقتصادات الدول «المتقدمة» ، فى المدى الطويل ، ذلك أن إفقار دول الجنوب - وفيها ٨٠٪ من سكان

(٣٢) (الأهرام) - القاهرة - حديث الرئيس محمد حسنى مبارك - فى ١ - ١٠ - سنة ١٩٩٨م -

العالم- معناه انعدام القوة الشرائية لسلع ومنتجات هذه الدول «المتقدمة»- وتحول رأس المال المالى إلى المضاربات ، بدلا من الإنتاج ، لن تقف كوارثه وزلازله عند الدول النامية وحدها ، لأن عولمة الاقتصاد ، ستجعل الكوارث عالمية أيضا ! . .

ولقد تجلى هذا الوعى بمخاطر العولمة الاقتصادية فى السعى الحثيث - رغم المعوقات الخارجية والداخلية - لترتيب البيت العربى والإسلامى ، بالتكامل الاقتصادى ، والمناطق الحرة ، والسوق المشتركة . . وشهدت السنوات الأخيرة المساعى لإقامة العلاقات والتكامل والتساند بين الدول الثمانى - الإسلامية - والدول الـ ١٥ . . والكوميسا - العربية الإفريقية - الخ . .

كذلك ، وعت التجارب التنموية الأسيوية - وخاصة التجربة الماليزية - دور العولمة ، ورأس المال المالى ، «بتياراته الساخنة الهائمة فى البورصات والمضاربات» فى إجهاض هذه التجارب التنموية ، وتخريب ثمرات المعاناة التى بذلتها شعوب تلك البلاد فى سبيل التقدم والنهوض والرخاء . .

ووعت أفريقيا مخاطر العولمة ، فجاء «إعلان الجزائر» ، الصادر عن قمة منظمة الوحدة الإفريقية- فى ١٤- ٧- ١٩٩٩م - ليحدد المخاطر الخمسة التى تواجه القارة ، وعالم الجنوب ، فإذا بالعولمة هى الخطر الأول ، ومعه : تهميش الأمم المتحدة - وهو من آثار العولمة- . . ونزع السلاح النووى - والإرهاب والجريمة المنظمة- وانحسار آفاق التنمية للدول النامية فى ظل الاقتصاد العالمى- وهو أيضا من آثار العولمة - . .

فهذا الوعى بمخاطر العولمة ، عند «صانع القرار» . . وهذه المساعى - الغير كافية حتى الآن ، والتى لاتتناسب مع شراسة التحدى - جديرة بأن تكون فى وعى وحسابات قوى اليقظة والأصالة - الوطنية والقومية والإسلامية - فى بلادنا ، وذلك لدعمها وتعظيمها ، **والحذر من طغيان التناقضات الثانوية بين قوى اليقظة هذه وبين صناع القرار على التناقضات الرئيسية والعدائية بين الأمة حكاماً ومحكومين وبين قوى «الهيمنة العولمية»** . .

لقد عرفت بلادنا ، فى مواجهة الاستعمار التقليدى والمباشر ، إطار «الجبهة الوطنية» العريضة ، التى جمعت قوميات الأمة وطبقاتها ومذاهبها وتياراتها الفكرية والاجتماعية ضد الاحتلال الأجنبى . . ومطلوب اليوم : الدعوة إلى جبهة وطنية عريضة لمواجهة الامبريالية الجديدة - العولمة - التى تجتاح عالمنا دون جيوش ! . . **وكما استفدنا من تقنيات الثورة الصناعية الأوربية - التى أفرزت ظاهرة الاستعمار - فى مواجهة هذا الاستعمار ، وفى تغيير واقعه ، علينا - اليوم - الاستفادة من تقنيات عصر العولمة فى «ترتيب البيت الإسلامى» لتحقيق عالمية العالم ، بدلا من عولمته** . .

❊ ❊ ❊

إن عالم الإسلام ، ومعه حضارات الجنوب ، تملك من الإمكانات ما يغرى المخلصين والواعين بترتيبها وتعظيمها ، لا للعزلة بها والانغلاق عليها ، فذلك وهم غير ممكن وغير مفيد ، وإنما لتعديل موازين القوى الدولية ، وتحقيق العالمية الإنسانية ، بدلا العولمة الغربية . . فعالم الجنوب يستورد «المواد المصنعة» من الشمال

- وأكثرها متخلفة والحديث منها هو الاستهلاكى لا الانتاجى - يستوردها الجنوب بأغلى الأسعار، بينما يصدر للشمال - بأرخص الأسعار - ٤٠٪ من المعادن - و ٣٥٪ من النفط - و ٩٣٪ من القصدير - و ٦٥٪ من الخشب - و ٤٠٪ من القطن ..

والعالم الإسلامى وحده، يمتلك وطنا مساحته ٣٥ مليونا من الكيلومترات المربعة .. تعيش فيه أمة يبلغ تعدادها نحو ربع البشرية - ١,٣٨٤,٨٠٠,٠٠٠ نسمة - بينما يعيش فى الصين قرابة هذا التعداد على مساحة هى $\frac{١}{٩}$ من مساحة العالم الإسلامى! ..

وغير الإمكانات الروحية والحضارية والثقافية التى يملكها العالم الإسلامى - وحدة العقيدة .. والشريعة .. والأمة .. والحضارة .. ودار الإسلام - فإن هذا العالم هو :

العالم الأول فى البترول والغاز والمنجنيز والكروم والقصدير والبوكسيت ..

وهو العالم الثانى فى النحاس والفوسفات ..

وهو العالم الثالث فى الحديد ..

والعالم الخامس فى الرصاص ..

والسابع فى الفحم ..

وإذا كانت أغلب ثروات العالم الإسلامى إنما تستخرج من باطن الأرض - وهى مركوزة فيها - فإن باباً واحداً من أبواب الزكاة، وهو زكاة الركاز - ٢٠٪ من قيمة مايستخرج من باطن الأرض - يمكن

أن يقيم صندوقاً لتنمية كل العالم الإسلامى ، بالحلال - وفقاً لحديث رسول الله ﷺ : « . . وفى الركاز الخمس»- رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود ومالك والإمام أحمد - . . وبعيدا عن الربا الذى فاق فى فحشة ربا الجاهلية القديمة . . وخارج أغلال المؤسسات الاقتصادية للعولمة الغربية - صندوق النقد الدولى . . والبنك الدولى- . .

وباستطاعة التكامل الاقتصادى أن يجعل عالم الإسلام حرّاً فى مصادر غذائه ، ففيه أطول أنهار الدنيا ، وأقدم فلاح علم الدنيا الزراعية ، ومئات الملايين من الأفدنة التى يمكن أن تزرع باستثمار الفوائض النقدية الإسلامية ، المودعة فى بنوك العولمة الغربية ، والتى تتآكل هناك بالمخاطر والمؤامرات ! . .

وباستطاعة التكامل الاقتصادى أن يفتح حدود عالم الإسلام أمام التجارة البينية- التى تقف الآن عند ٨٪ من حجم هذه التجارة ، بينما ٩٢٪ منها قائم بين كل دولة قطرية وبين الشمال ! . . **فتقنيات العولمة يمكن وأولى بها أن تعولم عالم الإسلام أولا ، فتفتح حدوده للتجارة الإسلامية المتكاملة ، وللتكامل الصناعى ، وبعد ذلك يكون التعامل مع الشمال ككتلة اقتصادية** . . فذلك هو قانون العصر ، الذى تطبقه أوربا ، كقارة ، وأمريكا ، كقارة ، ونحن أولى بتطبيقه ، لأننا «أمة» ، ولسنا مجرد مساحة فى الجغرافيا ! . .

ومنظماتنا الإقليمية - العربية . . والإسلامية . . والإفريقية - لو نفخت فيها الروح ، وتم تفعيلها ، يمكن أن تمثل الشكل المعاصر لوحدة أمة الإسلام ودار الإسلام - أى الخلافة الإسلامية الجديدة

- التى تزدهر فى إطار جوامعها العامة والمرنة ومصالحها المشتركة الدول القطرية والقومية . . هذا الشكل وهذه الصيغة التى أفرد لها المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا [١٣١٣ - ١٣٩١هـ ١٨٩٥ - ١٩٧١م] دراسته النفسية عن [فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم إسلامية] . . والتى سبقه فى الإشارة إليها جمال الدين الأفغانى - فى [العروة الوثقى]- قبل مائة وعشرين عاماً- عندما قال : «إن الاتفاق والتضافر على تعزيز الولاية الإسلامية من أشد أركان الديانة المحمدية، والاعتقاد به من أوليات العقائد عند المسلمين. والدول الإسلامية متصلة الأراضى، متحدة العقيدة، يجمعهم القرآن، فلم لا يتفقون على الذب والإقدام كما اتفق عليهم سائر الأمم؟.. ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم، فهو من أصول دينهم.. لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذى مُلك على مُلكه، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع، فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه. ألا إن هذا، بعد كونه أساساً لدينهم، تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجة فى هذه الأوقات . . »[٣٣] .

* * *

أما الخطوة الأولى على هذا الطريق - الشاق . . والذى هو الطوق الوحيد لنجاة هذه الأمة - فهى الوعى بحقائق الواقع ، وما فى هذا الواقع من «فرص» ومن «مخاطر» . . واستخدام هذا الوعى فى

(٣٣) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى] جـ٢ ص ٢٧ - ٢٩ . دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨١م .

تجديد الفكر الاسلامى ، وفى الإبداع بمختلف ميادين هذا الفكر ، ليكون لأشواقنا النهضوية «دليل العمل» الذى ينير لطلائع الأمة الطريق .. ولتكون لهذه الأمة الثقافة والآداب والفنون التى تملأ النفس الإسلامية وتغذى الوجدان الإسلامى ، وتروح عنهما ، حتى لا تملأ العولمة فراغنا الثقافى والروحى بقيم الانحلال وثقافة الحداثة اللادينية .. فما لم نملأ فراغنا بثقافة الحلال وفنونها وآدابها ، فإن فراغنا هذا سيمتلىء بثقافة الانحلال ..

فإذا كانت العولمة تعنى صب العالم فى قالب الحضارة الغربية المهيمنة.. اقتصاداً وسياسة وقيماً وثقافة.. فإن العالمية الإسلامية والإنسانية، تريد العالم «منتدى حضارات».. تتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام، وتتمايز فى الهويات الحضارية والخصوصيات الثقافية.. لتتدافع الأمم، وتتسابق وتتعارف، بدلا من الصراع والهيمنة والقهر والاستغلال ..

ولما كان البدء - عادة .. ودائما- هو للكلمة .. فعسى أن تكون هذه الكلمات قبسا مضيئا على درب أمة الإسلام فى مواجهة ماتواجه من ابتلاءات وتحديات .. وصدق الله العظيم ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ البقرة : ٢١٤ .. ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩) إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ - آل عمران: ١٣٨ - ١٤٢ - .. ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ - النساء : ١٠٤ - ..

إن التقدم ، وكذلك تداول الأمم للنهوض وللتراجع ، ليس خطا صاعداً باستمرار ، ولا هابطاً دائماً وأبدا .. وإنما هناك السنن التى تحكم دورات الصعود والهبوط فيه .. وصدق رسول الله ، ﷺ ، عندما قال : «لا يلبث الجور بعدى إلا قليلا حتى يطلع ، فكلما طلع من الجور شىء ذهب من العدل مثله ، حتى يولد فى الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتى الله تبارك وتعالى بالعدل ، فكلما جاء من العدل شىء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره» رواه الإمام أحمد - ..

وصدق الله العظيم ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف : ٨٧ - .. والله من وراء القصد .. منه نستمد العون والتوفيق ..

الفهـــرس



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨



في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- د . حسن الشافعي
- ا . فهمي هويدي
- د . سيد دسوقي
- د . عبد الوهاب المسيري
- د . عادل حسين
- المستشار طارق البشرى
- د . محمد سليم العوا
- د . يوسف القرضاوي
- د . كمال الدين إمام
- د . شريف عبد العظيم
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين..

إنه مشروع طموح. لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

